وداعٌ ووصايا

طواف الوداع واجب عند الانتهاء من النسـك، وقبل الخروج من مكة. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: "أُمِرَ النَّاسُ أن يكون آخرُ عهدِهم بالبيتِ إلَّا أنَّه خُفِّفَ عن الحائِضِ" رواه البخاري.

ويشترط لطواف الوداع:

- أن يكون الحاج من أهل الآفاق، فلا يجب على المكي، ومن نوى الإقامة بمكة؛ لأن الطواف وجب توديعًا للبيت، وهذا المعنى لا يوجد في أهل مكة؛ لأنهم في وطنهم. وكذلك لا يجب على من نوى الإقامة؛ لأن الوداع من المفارق، لا من الملازم.
- ويشترط الطهارة من الحيض والنفاس؛ فلا يجب طواف الوداع على الحائض والنفساء، ولا يجب عليهما دم بتركه. كما في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أُمِرَ النَّاسُ أن يكون آخرُ عهدِهم بالبيتِ إلَّا أنَّه خُفِّفَ عن الحائِضِ" رواه البخاري.

ولحديث عائشة- رضي الله عنها-: أنَّ صفيَّة بنت حُيَيٍّ- زوجَ النبيِّ ﷺ حاضت في حجَّةِ الوداعِ، فقال النبيُّ ﷺ: (أحابِسَتُنا هي؟) فقلتُ: إنَّها قد أفاضَتْ يا رسولَ اللهِ وطافت بالبيتِ، فقال النبيُّ ﷺ: (فلْتَنْفِرْ) رواه البخاري.

وإذا طهرت الحائض أو النفساء بعد أن نفرت وقبل مفارقة بنيان مكة؛ فإنه يلزمها الرجوع، أما إذا تجاوزت مكة فلا يلزمها الرجوع.

ووقت طواف الوداع: يكون بعد فراغ المرء من جميع أموره؛ ليكون آخر عهده بالبيت. فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (لا ينفرنَّ أحدٌ حتى يكون آخِرُ عهدِهِ بالبيتِ) رواه مسلم.

:yusurplatform
www.yusurplatform.net

ويُغتَفر له أن يشتغل بعد طواف الوداع بأسباب السفر، كشراء الزاد، وحمل الأمتعة، أو انتظار رفقة ونحو ذلك، ولا يعيده، لحديث أم سلمة- رضي الله عنها-، قالت: شَكَوتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ أنِّي أشتكِي، قال: (طوفِي مِن وراءِ النَّاسِ وأنت راكبةٌ) فطُفْتُ، ورسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي إلى جَنْبِ البيتِ، يقرأُ بالطُّورِ وكتابٍ مسطورٍ. رواه البخاري.

فإنه ﷺ صلى الفجر، وكان قد طاف للوداع قبل ذلك، ولم يكن ذلك مبطلًا لوداعه، فدل أن ما كان مثل ذلك لا يقطع طواف الوداع.

ويجزئ طواف الإفاضة عن طواف الوداع، إذا جعله الإنسان عند خروجه؛ لأن طواف الوداع ليس مقصودًا لذاته، بل ليكون آخر عهده من البيت الطواف، وقد حصل بطواف الإفاضة، فيكون مجزئًا عن طواف الوداع.

وفي ختام الحج إليك -أخي الحاج- هذه الوصايا:

قد شرع الله العبادات والطاعات لحكم عظيمة وغايات جليلة فهي تقوّي الإيمان، وتُزكّي النفوس، وتقوم السلوك، وتهذب الأخلاق، وما لم تكن هذه العبادات طريقًا لتحقيق هذه الغايات، فلن يستفيد منها المسلم الإفادة المرجوة، بل ربما تحولت العبادة إلى حركات ومظاهر يؤديها الإنسان، دون أن يكون لها أثر على واقعه وسلوكه.
وعبادة الحج إذا قام بها المؤمن خير قيام، وأدرك مقاصدها، واستشعر معانيها كان لها أعظم الأثر في حياته وبعد مماته.
وإذا كان الأمر كذلك، فإن عليك وقد أكرمك الله بزيارة بيته، ووفقك لأداء فريضته، أن تقف مع نفسك وقفات، تتأمل حالك، وتراجع قلبك، وتصحح سيرك.

وأول شيء يجب أن تدركه عظم نعمة الله عليك، بأن وفقك لأداء هذه الفريضة العظيمة مما يستوجب شكر الله جل وعلا على هذه النعمة، كيف لا وقد حُرِمَها غيرُك وهو يهفو إليها. ومِنْ شُكْرها أن تلازم طاعة ربك وتستقيم على دينه وشرعه.

ثم إن من أهم الأمور التي ينبغي أن تحرص عليها بعد حجك: الثبات على الطاعة، والمحافظة على هذا العمل من المحبطات والآفات، وأن تسأل الله في كل حال أن يحفظ عليك دينك، وأن يوفقك لطاعته، ويجنبك معصيته؛ لتكون ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩].

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال للناس على هذه القضية، محذرًا عباده من أن يُبطلوا أعمالهم، ويَمحقوا طاعتهم، فلا يجدونها في وقتٍ هم أشد ما يكونون حاجة إليها، وذلك في قوله جل وعلا: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، وهو مثل ضربه الله جل وعلا لمن حسن عملُه، ثم انقلب على عقبه بعد ذلك، وبدل الحسنات بالسيئات عياذًا بالله من ذلك، قال عمر ﷺ في تفسير الآية أنها ضُربت مثلًا: "لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بطَاعَةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ له الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بالمعاصِي حتَّى أغْرَقَ أعْمَالَهُ". رواه البخاري.

وتذكَّر -أخي الحاج- أن للحج المبرور علامات، ومن أظهر هذه العلامات: دوام الاستقامة على طاعة الله بعد أداء النسك، وأن يكون حالك مع الله بعده أفضل مما كنت عليه قبلُ، وقد قيل للحسن البصري-رحمه الله-: الحج المبرور جزاؤه الجنة، قال: "آية ذلك أن يرجع زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة".

والظن بك -أخي الحاج- وقد أنهيتَ حجك أنك قد أدركت أن من أهم حِكَمِ الحج ومقاصده تربية المسلم على عبودية الله وحده، والتزام أوامره واجتناب نواهيه، واتباع سنة نبيك ﷺ، وهذه الأمور لا تتحدد بموسم أو شهر أو عام بل يستصحبها المسلم طيلة عمره ومدة حياته، ما دام فيه قلب ينبض ونَفَس يتردد: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وليكن حالك بعد العمل كحال الذين وصفهم الله جل وعلا بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] فهم وإن كانوا يتقربون إلى الله بصنوف العبادات وألوان القربات، إلا أنهم مع ذلك خائفون وجِلُون أن تُرَدَّ عليهم أعمالهم، قال علي ﷺ: "كونوا لِقَبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ومن أجل ذلك أَمَرَ الله حجَّاج بيته بأن يستغفروه عَقِب إفاضتهم من عرفة ومزدلفة، بعد أن وقفوا في أجلِّ المواقف وأعظمها فقال ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وأخيرًا -أخي الحاج- يا من وقفت بِعرفات، وسكبت العبرات، وأظهرت الندم على ما فات، يا من أعتقه مولاه من النار، إياك أن تعود إلى ربقة الأوزار بعد أن تاب الله عليك منها، إياك أن تقترب من النار بعد أن أعتقك الله منها.

فاعقد النية وجدد العزم واحرص على أن يكون حجك نقطة تحول في حياتك، وحاسب نفسك، وانظر ما هي آثار الحج على قلبك وسلوكك وأقوالك وأفعالك. وداوم على العمل الصالح، ولو كان قليلًا، فإن القليلَ الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع، واعلم أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ، وافتح صفحة جديدة من حياتك مع مولاك.

نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجعل حجك مبرورًا، وذنبك مغفورًا، وسعيك مشكورًا، وأن يتقبل منا ومنك صالح الأعمال، ويرزقنا الثبات والاستقامة حتى الممات.